الفصل الرابع
ثقافة الطفل .. وتقوية شخصيته

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يمرُّ بها الإنسان؛ لما لها من أثر عظيم في بناء شخصيّته من النواحي الجسديّة والفكريّة الاجتماعيّة؛ فهي المرحلة التي تتشكل فيها المهارات والقيم الأساسيّة والأفكار والقناعات التي تظل مع الطفل طوال عمره، مع تجدد المفاهيم في عالم الطفولة. ولقد أدركت الأمم والشعوب قيمة هذه المرحلة من حياة الإنسان، فشرعوا بإيجاد الأساليب والطرق التي من شأنها تعزيز وتنمية ثقافة وشخصيّة الطفل، حيث تنشأ ثقافة الطفل نتيجة الاحتكاك المباشر بينه وبين البيئة المحيطة وعناصرها المختلفة.

مفهوم ثقافة الأطفال:

تعرف الثقافة بصفة عامة بأنها: مجموع المعارف والأفكار، والفنون والآداب، والعادات والتقاليد والقيم؛ بل هي كلّ ما يكتسبه الفرد من محيطه. من هذا المنظور يعرِّف (عبد التواب يوسف) ثقافة الطفل، في كتابه (تنمية ثقافة الطفل) بأنها: "هي خليطٌ ممّا يرثه من أبويه وأُسرته، وما يصلهُ

obeikan.com

من عاداتٍ وتقاليدَ، وما يكتسبه من معرفة وعلم، وما يتأثَّر به من فنون، وما يمارسه منها، وما يعتقد فيه، ويؤمن به، وما يتَّصف به من خلق، وما تتميَّز به شخصيته من ملامح، وكلّ ما يسود في مجتمعه من أفكار وآراء وقوانين، وما يشيع فيه من ثقافة عامة".

ويمكن تشخيص الثقافة بأنها وليدة التواصُل بين طرفين، وهما: الإنسان، والبيئة المحيطة به؛ حيث تعد البيئة من أهم العوامل المؤثِّرة في تكوينها. ويمكن اعتبار أن ثقافة الطفل مستمدة من ثقافة ذلك المجتمع، والتي تتمثّلُ في أسلوبِ الحياة السائد فيه. من جهة أُخرى، فإن ثقافةَ الطفل لا تتَّخذ طابعًا واحدًا، على الرغم مِنَ الإطار العامّ الذي يحكم آلياتها؛ ذلك لأن الأطفال مختلفون باختلاف أطوار نموِّهم، وبحسب مراحلهم العمرية. كما أنها تختلف أيضًا تبعًا للظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصّة بكلِّ أُسرة أو مجتمع من المجتمعات.

وفي ضوء ما سبق، فإننا يمكن أن نقول: إن ثقافة الطفل تعني: مجمل الأعمال الأدبية والتعليمية والترفيهية الموجَّهة للأطفال، والتي يضعها الكبار غالبًا، والمختلفة عن ثقافتهم كمًّا ونوعًا؛ بهدف بناء شخصياتهم، وتنمية مكوِّناتها وقدراتها، وبما يتناسب مع إمكاناتهم، ويلبِّي احتياجاتهم المتنامية.

أهميّة ثقافة الطفل:

من المعروف أنّ الطفل بطبيعته ينفر من طرق التعليم المختلفة التي تقدّم له المعلومات والثقافات المختلفة على شكل قوالب مملّة وجاهزة، من خلال أسلوب الحفظ والتلقين؛ لذا تلجأ الأساليب التعليميّة الحديثة إلى تثقيف الطفل بطريقة تنمّي ملكاته وإبداعاته، وتجعله يفكر بعيدًا عن أسلوب التلقين.

يمكن إيصال المعلومات والثقافات المختلفة للطفل بالطرق التي يحبها ويميل إليها، من خلال دمج التعليم باللعب، بالإضافة إلى استخدام أسلوب تشجيع الأطفال وتحفيزهم على الاستطلاع والبحث؛ نظرًا لحبهم لكل ما هو مجهول، بالإضافة إلى تنمية خيال الطفل وقدراته الاجتماعيّة والتواصلية مع الآخرين، وتنمية لغته، وتعليمه اللغات الأخرى بطريقة بسيطة ومسلية.

اعتبارات ثقافة الطفل:

الاعتبارات التربوية:

وهي تلك الاعتبارات التي يجب أن تشمل جميع جوانب شخصيّة الطفل، وذلك من خلال تقديم المادة الثقافية بما يتلاءم مع خصائصه السلوكيّة والاجتماعيّة والنفسيّة، مع ضرورة الاستمرار في تثقيف الطفل خلال مرحلة الطفولة كاملة.

الاعتبارات اللغوية:

وهي تلك الاعتبارات التي تراعي تقديم الثقافة إلى الطفل باللغة البسيطة، والواضحة، والمفهومة. بالإضافة إلى ضرورة سلامتها وخلوّها من الأخطاء اللغويّة المختلفة.

الاعتبارات الفنية:

حيث يتم تقديم المادة الثقافية بأسلوب فني وجمالي راقٍ، ممزوج بأسلوب التشويق والمتعة الذي يحبه الطفل، من خلال تقديمها على شكل رواية جميلة، أو مقطوعة موسيقية فنية، أو قصة قصيرة.

معوّقات ثقافة الطفل:

يمكن حصر أهم معوقات ثقافة الطفل في النقاط التالية:

- انخفاض جودة ونوعيّة المنتج الثقافي والأدبي المقدّم، بالإضافة إلى كميّته؛ حيث لا زالت الثقافة المقدمة للطفل في عالمنا العربي تحت وطأة التنظير والتأديب.
- استخدام أسلوب الحفظ والتلقين في طرح المادة الثقافية المقدّمة.
- غياب ثقافة الإبداع التي تحفّز الطفل على التفكير والتحليل والنقد، وكذلك المشاركة مع الآخرين والعمل الجماعي.
- فقر المكتبة العربيّة بنتاجات الفنون والأدب التي تخص الأطفال، بالإضافة إلى النقص في مجال الترجمة من الثقافات الأخرى التي تُعنى بالأطفال.

تقنية المعلومات وتثقيف الطفل:

إن التقدم الذي نشهده حاليًا في جميع المجالات، وتأثيرات المعرفة الحديثة الواضحة فيه، قد ضيّق المسافة بين الطفل وبين العلم والتكنولوجيا بصورة تستوجب تربية جديدة مغايرة تمامًا للتربية التي لا تزال سائدة في مجتمعاتنا، ولم تترك المكان للتربية الحديثة والمعاصرة إلّا في نطاقات ضيّقة وبصعوبة. وعلى أية حال فالعلاقة متينة بين التربية والثقافة .. والتربية هي عنصرٌ مهمٌّ من عناصر الثقافة؛ باعتبارها الأداة الأولى في التنشئة الاجتماعية، لا بدّ أن تكون غاياتها واضحة.

لقد أصدرت "اليونيسكو" دراسة قيّمة بعنوان: "التعليم ذلك الكنز المكنون"، وهي:

- تعلّمْ لتعرف.
- تعلّمْ لتعمل.
- تعلّمْ لتكون.
- تعلّمْ لتشارك الآخرين.

وقد قام الدكتور نبيل علي - الخبير في مجال المعلوماتية - بصياغة هذه الغايات الأربع الأساسية، فيما يخصّ تربية الطفل العربي إلى أربعة أهداف أساسية لاستخدام تكنولوجيا المعلومات، وهي:

1. تنمية قدرات الطفل العربي في اكتساب المعرفة.
2. تنمية القدرات الذهنية لدى الطفل العربي.

obeikan.com

3. تنمية القدرات الإبداعية لدى الطفل العربي.

4. تنمية مهارات التواصل مع الآخرين لدى الطفل العربي.

لقد تأكدت الحاجة إلى ضرورة اللجوء إلى تقنية المعلومات؛ لمواجهة ظاهرة الانفجار المعرفي، وهو ما يستوجب إكساب الطفل القدرة على التعلّم الذاتي مدى الحياة، والتعامل بطريقة مباشرة مع مصادر المعرفة المتنوعة دون وسيط بشري، قد يتمثل في شكل مدرّسٍ أو كتاب مدرسيٍّ. وحتى يتحقق ذلك فلا بد من إكساب الطفل مهارات التعامل مع الشبكة العالمية "الإنترنت"، ومهارات البحث.

القدرة على التعلم الذاتي:

إن مهمة التعليم لم تعد تنحصر في تحصيل المادة التعليمية بالدرجة الأولى؛ فأسلوب التلقين والتحفيظ، واستظهار المعلومات حرفيًّا، أسلوبٌ يتناقض تناقضًا جوهريًّا مع ظاهرة الانفجار المعرفي؛ بل الغاية هي تنمية مهارات الحصول على المعارف وتوظيفها، وأكثر من ذلك توليد المعارف الجديدة، وربطها بما سبقها.

مصادر ثقافة الطفل:

إن مصادر ثقافة الطفل تتمثّل في الأسرة، الجيران، المسجد، المدرسة، جماعة الأقران، وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية ويتصدّرها التلفزيون، أدب الطفل، الوسائط الحديثة للتثقيف. ونكتفي هنا بالحديث

عن عوامل ثلاثة من عوامل التربية والتثقيف أوّلًا، وهي: الأسرة، المدرسة، وأدب الطفل.

الأسرة:

تظلُّ الأسرة هي المعين الأول لثقافة الطفل، وتبقى التربية الثقافية إحدى أهم جوانب اهتمام الأسرة بالطفل. ونؤكد هنا على أن ثقافة الوالدين تلعب دورًا رئيسًا في توجيهِ الطفل، وإكسابه الطرائق السليمة التي تضعه على الطريق الصحيح في هذا المجال. والمعلوم أنه كلّما بادر الوالدان إلى تثقيف أطفالهم، وعَمِلا على إثراءِ خبراتهم، كان استعدادهم للتعلّم والتثقّف أفضل وأيسر. وتكمُن البداية في غرس حبِّ القراءة في نفس الطفل؛ لأنها مسألة بالغة الأهمية؛ لتكون الأبواب أمامهم مشرعة نحو المعرفة والارتقاء الفكري.

وتؤكد جميع آراء المتخصصين على أن الأسرة هي أساس التنشئة، ومصدر الاستقامة أو الانحراف في فطرة الطفل وعقيدته التي هي مبعث ثقافته. وفي مراحل النموّ يتعرّض الطفل لنماذج سلوكية مباشرة في أسرته، والمحيطين به، أو نماذج سلوكية رمزية من وسائل الإعلام، ومن القصص والحكايات التي تُقدّم في الأسرة من كبارها وصغارها معًا. وفي هذا النوع من التعليم يلاحظ الطفل الشخص النموذج، ويصوغ ما يشاهده ويختزنه، وينتظر الوقت المناسب لكي ينتج نفس السلوك.

الأسرة هي الوعاء التربوي والثقافي الذي تتبلور داخله شخصية الطفل تشكيلًا فرديًّا واجتماعيًّا ودينيًّا، وهي بهذا تمارس عمليات تربوية تثقيفية هادفة؛ من أجل تحقيق نموّ الفرد نموًّا سليمًا .. وممّا لا ريب فيه أن الوضْع الثقافي والتعليمي للأسرة يؤثّر في تنشئة الطفل وتربيته تأثيرًا مباشرًا، وبخاصة في سلوكه الديني والاجتماعي والثقافي .. فالميل إلى القراءة، والمشاركة في الأنشطة الثقافية المحلية والوطنية، وحضور المحاضرات والندوات الفكرية، والمساهمة في المسابقات، وممارسة الحوارات الفكرية داخل الأسرة، ووجود المجلّة والكتاب والصحيفة اليومية، وانكباب أفراد الأسرة عليها .. كلها عوامل ذات تأثير إيجابي في تنمية الوعي الثقافي لدى الطفل، وكذلك تساعد على النموّ السليم والتنشئة التي تسمح بسرعة التكيّف الاجتماعي والثقافي مع الوسط المدرسي من ناحية، ومع الوسط الاجتماعي الثقافي من ناحية أخرى.

إن دوْر الأسرة حسّاسٌ وخطيرٌ جدّا في تلبية الحاجات البيولوجية، والتربية والتنشئة، والتهذيب، وغرْس الفضائل والقيم، وإدماج الطفل في المحيط، والتثقيفُ.

والتثقيف يدعونا إلى استعراض نقاط مهمّة، منها:

- ✍ . هل حركية الكتاب غير المدرسي داخل الأسرة متوفرة وتمسّ كل مجالات المعرفة؟
- ✍ .كيف هي نظرة الأبويْن وأفراد الأسرة إلى الكتاب؟

- ✍ . هل توجد مكتبة منزلية؟ وما كمية الكتب بها؟ وما نوعيتها وطرق استثمارها؟ وما هي طرق العناية بها؟
- ✍ . ما نصيب الطفل منها؟
- ✍ . هل عُوّد ويُعوّد هذا الطفل منذ صغره على المطالعة خارج الواجبات المدرسية؟
- ✍ . هل الأسرة لها ارتباط بالصحافة؟ وهل هذه العلاقة يومية؟

عندما نطرح مثل هذه الأسئلة نؤكّد بأن المدرسة عندنا على غرار العديد من البلدان التي تشابهنا عجزت عن دورها التثقيفي؛ بل وحتى التعليمي في بعض مراحل التعليم .. المطالعة ثم عادة المقروئية التي من المفترض أن تتعاضد الأسرة والمدرسة على غرسها لدى أبنائنا وبناتنا كوسيلتين رئيستين للتثقف، وإثراء المعارف والاندماج في المحيط القريب والبعيد، وأداتين للبحث والتقصّي، وليس فقط في المؤسسة التعليمية – قد فشلتا في ذلك وكلتاهما تنحو باللائمة على الأخرى.

المسجد:

من أهمّ مصادر ثقافة الطفل؛ حيث يتعلم منه التقيّد بالمواعيد، والانتظام في الصفوف، واحترام الكبار والسلام عليهم، والتعرّف إلى الجيران وتفقّدهم، والمساواة والعدل بين جميع أفراد المجتمع، والاهتمام بالطهارة؛ من نظافة الجسم والهندام، وتعلّم التلاوة السليمة وحفظ كتاب

obeikan.com

الله، وتشرّب المبادئ الروحية، والارتباط الدائم بالله عزّ وجلّ، والانقياد للقيادة المسجدية، ومراعاة آداب الطريق، والمشي باحترام وسكينة.

وفي ظلّ وجود المدارس النظامية، وتعدّد وسائل المعرفة، وسهولة الحصول على المعلومات من مصادرها المتنوّعة - نجد أن دوْر المسجد بالنسبة للأطفال قد تقلّص بشكل واضح، ولم يعد يقوم بالدور الذي كان يؤديه في السابق؛ لذا في اعتقادنا ينبغي التعاون بين الأسرة والمدرسة والمسجد؛ من أجل تحقيق نوع من التكامل بينهما، فإذا كانت المناهج التعليمية في مادة التربية الإسلامية توازن ما بين محاور القرآن الكريم والأحاديث النبوية والعقيدة والعبادات والسلوك الأخلاقي، من المفترض أن يركّز المسجد على تحفيظ القرآن الكريم للأطفال والطّلاب بصفة أساسية في العُطلات؛ لأن ما يقدم منه في المدرسة يقتصر على السُّور القصار، وعلى الآيات ذات الأحكام.

المدرسة:

هي امتدادٌ للأسرة وتكميل لدورها في تثقيف الطفل، وهي تُكْسبه قيمًا إيجابية تؤهّله ليكون فردًا عاملًا مؤثّرًا في مجتمعه .. وقد تُكْسبه قيمًا سلبية تؤهله كي يكون رقمًا في إحصائيات التعداد فقط .. وتُعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية ثقافية، من أهدافها إعداد الفرد كي يكون مواطنًا مستنيرًا قادرًا على القيام بدوره الثقافي تجاه نفسه وتجاه المجتمع، والإسهام في دفعه نحو الرقيّ والتحسّن في عصر يتميّز بالتطوّر السريع في جميع مجالات الحياة؛ ممّا

يتطلّب كفاءات ومهارات لدى الأجيال الجديدة؛ لكي تستطيع مواكبة ما يطرأ من تغيّر وتحديث ونموٍّ لا يتوقف .. إن المدرسة - بحكم وظيفتها الاجتماعية، واستمداد أهدافها من مجتمعها - تعمل على إعداد الفرد الذي يتميز بخصائص أهمّها:

1 - الشعور بقيمة كينونته وأهميتها العلمية والثقافية في المجتمع.

2 - الشعور بأنه عضْوٌ فعّالٌ منتج، له قيمته في المجتمع الذي يعيش فيه.

3 - الإحساس بمشكلات مجتمعه، والسعي الجاد والصادق في حلّ تلك المشكلات بشكل إيجابي مع غيره، وذلك باستخدام الأساليب العلمية.

المدرسة بتشكيلتها المعروفة من مدرس وإدارة ومبنى ومرافق وكتاب مدرسي ووسائل تعليمية، وفضاء للتعليم والتعلّم مع الرفاق، تستطيع أن تفعل الكثير، وإنْ كانت إمكاناتها محدودة، وبخاصّة: المدرسة الابتدائية التي تأنف وزارة التربية احتضانها ماديًّا، وتُولي البلديات وجهها عنها. في المدرسة يكتسب الطفل المعارف، ويتقن المهارات، ويتشرّب القيم السلوكية التي تساهم في تشكيل شخصيته.

obeikan.com

obeikan.com